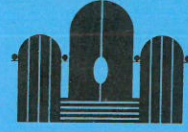
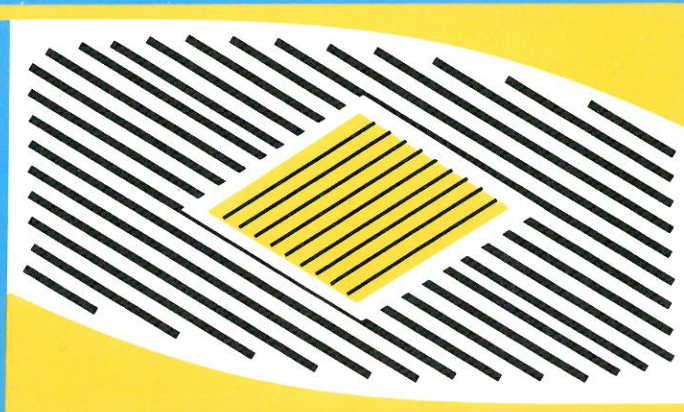


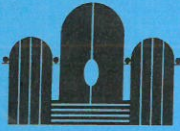
المملكة المغربية  
جامعة القاضي عياض  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية  
بني مراك



# مجلة كلية الآداب

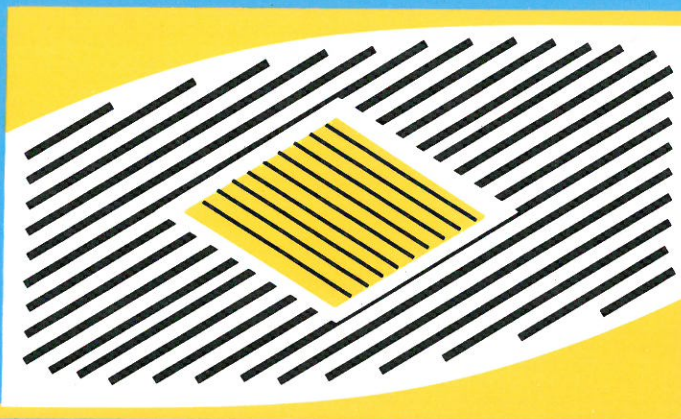
بني مراك





Royaume du Maroc  
Université Cadi Ayyad  
Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines  
BENI MELLAL

Revue  
DE LA FACULTE DES LETTRES  
BENI MELLAL



المملكة المغربية  
جامعة القاضي عياض



مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ببني ملال  
تصدر مرة في السنة

المدير : د. أحمد العلوي



رئيس التحرير : د. بناصر وسكوم



هيئة التحرير :

ذ. عز الدين نزهي  
ذ. مولاي المصطفى مآوي  
ذ. عبد المجيد بهيني  
ذ. عبد الفتاح أبو العز  
ذ. أحمد علوش  
ذ. سعيد شبار  
ذ. محمد أزهرري



الطبع :

الآنسة فاتحة البوشيخي  
الآنسة مينة السمري



التصحيح والتحيين والمساعدة التقنية :

د. بناصر وسكوم  
الآنسة فاتحة البوشيخي  
السيد أحمد بوجلي

العنوان :

كلية الآداب والعلوم الانسانية

أولاد حمدان، ص. ب : 524

الهاتف : 023.48.46.81 – الفاكس : 023.48.17.72 / 023.48.17.69



البيضاء

الإيداع القانوني رقم : 1995/39

## الفهرس

- حول تاريخ العربية : الحميريون و الامازيغيون  
7 ..... أحمد العلوي
- نظرات منهجية في دراسة ميشال عاصي "المصطلحية"  
19 ..... محمد أزهرى
- الشعرية العربية عند ابن خلدون  
43 ..... العربي الذهبي
- تنظيم الجيش البونىقي بين الارتزاق والمواطنة  
53 ..... عبد الرحمان اليبوبى
- ما بعد جبران . الشاعرة نادين لطايف - كندا  
83 ..... لطيفة حلیم
- الاتصال بين شعوب البحر الأبيض المتوسط وإفريقيا الغربية قديما :  
"مشكلة الوساطة"  
87 ..... عبد اللطيف البرينسى
- التنظيم الجبائى في العهد السعدي : ضريبة "النايبة" نموذجا  
95 ..... الفقيه الإدريسي
- المقدس بين المعتقد الشعبى والموقف الاستعماري :  
"نموذج منطقة الغرب"  
115 ..... محمد حواش

الأقليات في الإسلام : الأكراد، عودة إلى المصادر التاريخية

131 ..... محمد العاملي

المغاربة والجهاد البحري ضد الصليبيين

145 ..... عبد المجيد بهيني

موحا وحمو الزباني : من أمغار القبيلة إلى قائد المخزن (1877-1914)

165 ..... محمد بن لحسن

التنمية بين التجديد وإشكالية الانتشار

183 ..... محمد ميوسي

المدينة بين طموح المخطط وضغوط الواقع

(مساهمة في فهم بعض الصعوبات التي تعيق تنفيذ وثائق التعمير)

193 ..... محمد مداد

نظرات في أصول الفقه

209 ..... خالد وزاني

اللغة والتنمية الثقافية أية علاقة ؟

229 ..... عبد الرحمان العضاوي

# نظرات منهجية في دراسة ميشال عاصي "المصطلحية"

محمد أزهرى

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بني ملال

## تقديم

يعتبر كتاب " مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ<sup>(1)</sup> " للدكتور ميشال عاصي من أوائل الكتب التي عنيت بالدراسة المصطلحية، في عصرنا الحاضر، ضربا من العناية. ويقع هذا الكتاب في طبعته الأولى في : 208 صفحة، من الحجم المتوسط. ويتضمن تمهيدا ودراسة للمباحث التالية :

1. علم الجمال والبلاغة .

2. المفاهيم والمصطلحات .

3. البلاغة .

4. البيان .

5. الفصاحة .

6. النطق وآفاته .

7. الأدب .

8. الشُّعْر .

---

1- صدر الكتاب في طبعته الأولى عن دار العلم للملايين، بيروت، في يناير 1974 . وهي الطبعة المعتمدة في هذا البحث . وطبع طبعة ثانية بمؤسسة نوفل، بيروت، سنة 1981 .

9. المعنى واللفظ .

10. مفاهيم متفرقة .

وقد دُيِّل بأربعة فهارس، جاءت على النحو التالي :

1. فهرست المصادر والمراجع .

2. فهرست الأعلام .

3. فهرست الموضوعات .

4. فهرست خاص بكتب المؤلف .

### 1- نظرات منهجية في دراسة ميشال عاصي "المصطلحية"

يمكننا تقسيم هذه النظرات المنهجية إلى قسمين كبيرين :

— حُصص القسم الأول منهما للنظرات المنهجية المرتبطة بمجال الدراسة المصطلحية أساسا .

— بينما خصص ثانيهما لنظرات منهجية عامة ترتبط بمجال البحث العلمي، وما يتطلبه من قواعد أساسية، ينبغي للباحث أن يلتزم بها في بحثه .

#### 1.1. نظرات منهجية خاصة مرتبطة بمجال الدراسة المصطلحية :

إن موضوع الكتاب — كما يتضح من عنوانه، ومن المباحث المذكورة آنفا — هو إبراز مفاهيم متعلقة بالفكر الأدبي والجمالية الفنية في أدب الجاحظ، وذلك لأن المؤلف مؤمن " بأن أبا عثمان كان رائدا من رواد الفكر الأدبي عند العرب، وأن له في هذا المجال مشاركة بالغة في إرساء قواعد الجمالية العربية، وفي تكوينها، منذ : ق. 9. م " (2).

2- مفاهيم الجمالية والنقد : 7.

وقد اعتمد عاصي، في دراسته هاته، على كتب الجاحظ التالية : كتاب الترييح والتدوير، وكتاب البخلاء، وكتاب الحيوان، ورسالة المعلمين، وكتاب البيان والتبيين. وأهمل مؤلفات الجاحظ الأخرى، كرسالة الكندي، ورسالة البرصان والعرجان والعميان، و... وغيرها من الرسائل.

ومعلوم أن هذه الكتب كلها تزخر بالعديد من المصطلحات النقدية والبلاغية وغيرها، إلا أن المؤلف لم يستوفها كلها بالدراسة، ومن ثم فقد كان حرياً به أن يدقق العنوان أكثر، فيقول، مثلاً، : "من مفاهيم الجمالية والنقد في بعض مؤلفات الجاحظ".

إن دراسة "مفاهيم الجمالية والنقد" يقتضي أن تكون الدراسة، أولاً وأخيراً، دراسة مصطلحية، تخول للقارئ، في النهاية، أن يخرج بمعان محددة لمجموع المصطلحات المدروسة، مع ما يرافق ذلك من معرفة الخصائص التي تتميز بها، والعلاقات التي تربط بعضها ببعض، والضمائم المقترنة بها، والمشتقات المشتقة منها، والقضايا التي تثيرها، وما إلى ذلك.

فهل حقق د. ميشال عاصي ما كان مفروضاً أن تحققه الدراسة المصطلحية؟

إن نظرة مدققة في ما أعده الباحث تبرز لنا أنه قصر في جوانب كثيرة مرتبطة بمنهج الدراسة المصطلحية، يمكن إجمالها في ما يلي :

### 1.1.1. خوض المؤلف في الدراسة المصطلحية بغير شروطها العلمية :

إن منهج الدراسة المصطلحية لا بد فيه من أركان أساسية خمسة، متداخلة يقود بعضها إلى بعض : أولها الإحصاء، وثانيها الدراسة المعجمية، وثالثها الدراسة النصية، ورابعها الدراسة المفهومية، وخامسها العرض المصطلحي<sup>(3)</sup>.

3- انظر تفاصيل هذه الأركان في : " نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ومدى اهتمام إمام الحرمين به في كتابه " الكافية " للدكتور الشاهد البوشيخي.

وقد قام المنهج الذي اعتمده المؤلف على الوصف، حيث صرح بأنه لم يدخر "أي جهد في تتبع ما ورد مباشرة، أو بالإيحاء، من آراء الجاحظ والذين روى لهم أو عنهم من أهل النظر والتدقيق في قضايا الجمالية والفكر الأدبي والنقد"<sup>(4)</sup>، لأن هدفه كان واضحاً، وهو "استخلاص مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ"<sup>(5)</sup>، من خلال مؤلفاته الخمسة السالفة الذكر؛ إلا أن المؤلف لم يلتزم بكل شروط هذا المنهج.

إن الدراسة المصطلحية، بشكل علمي دقيق، وفق المنهج الوصفي، تقتضي ضرورة اتباع مجموعة من الخطوات مرتبط بعضها ببعض<sup>(6)</sup>، غير أن تتبعنا للطريقة التي نهجها عاصي جعلنا نخرج بالملاحظات التالية :

#### 1.1.1.1. الاعتماد على مبدأ العثور بدل الانطلاق من ركن الإحصاء :

إذا كانت الخطوة العلمية الأولى في منهج الدراسة المصطلحية تقتضي تتبع كل مصطلح على حدة، من أجل وضع فهرسة دقيقة تعتمد على الإحصاء المضبوط، قبل الشروع في الدراسة المصطلحية؛ فإن المؤلف لم يرقم بذلك كما يبدو من قراءة كتابه، وإن كان قد نص، في نصه السابق، على أنه لم يدخر جهداً في تتبع ما ورد من مفاهيم في أدب الجاحظ؛ إذ التتبع الحقيقي لا يستقيم إلا بالإحصاء الدقيق. أما المؤلف فقد صرح - غير ما مرة - أن ما قام به جاء نتيجة ما عثر عليه، أثناء قراءته لمؤلفات الجاحظ. قال، في نهاية حديثه عن مصطلحات الأدب عند أبي عثمان، : " هذه إجمالاً هي أبرز ما استطعنا العثور عليه من آراء الجاحظ في الأدب بصورة عامة"<sup>(7)</sup>، وهو ما أكدته، مرة

4- مفاهيم الجمالية والنقد : 192 .

5- نفسه : 192 .

6- انظر تلك الخطوات مفصلة في كتاب : " مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، للدكتور الشاهد البوشيخي، من ص . 15 إلى ص . 20 .

7- مفاهيم الجمالية والنقد : 144 .

أخرى، في ختام دراسته، حين صرح بما يلي : "ونستطيع كذلك القول بأننا حاولنا عرض ما عثرنا عليه منها<sup>(8)</sup>، وتبويبه في فصول متجانسة أو متقاربة<sup>(9)</sup>".

إن انطلاق عاصي من مبدأ العثور قد "قوّت عليه كثيرا من النصوص المبرزة لجوانب قد تكون هي الأهم في المفهوم، وعددا من المصطلحات التي تعتبر بالنسبة إلى غيرها حلقات أساسية<sup>(10)</sup>".

### 2.1.1.1. إهمال الدراسة المعجمية للمصطلح المدروس

تستلزم الدراسة المصطلحية، في المرحلة الثانية، دراسة معجمية لكل مصطلح، وذلك بهدف "تحديد المعاني الكبرى للمصطلح الأهم في المعاجم، تحديدا يحرص ما أمكن على تقديم الحسي من المعاني على العقلي، والوصفي على المجازي، واللغوي على الاصطلاحي، وما هو الأصل على ما هو الفرع، وينتقي من الشروح أدقها وأجمعها وأقدمها، ولا يكاد يُعنى بغير ما يُظن أن منه أو من بعضه أخذت الدلالة الاصطلاحية<sup>(11)</sup>".

والملاحظ أن المؤلف قد أغفل هذا الركن من أركان الدراسة المصطلحية. فلم يتطرق للدلالات اللغوية للمصطلحات المدروسة، في غالب الأحيان. ولم تكن تلك الفلتات النادرة - التي عرج فيها على شرح بعض المصطلحات شرحا لغويا أولا - لتفي بالغرض؛ إذ لم يكن يعطي هذا العنصر ما يستحق من عناية. فكان الشرح اللغوي موجزا جدا، لا يكاد يتجاوز كلمة واحدة. ومثال ذلك، ما فعله أثناء دراسة المصطلحات التالية: الدلالة<sup>(12)</sup>، والبكء<sup>(13)</sup>، والبديهة<sup>(14)</sup>.

8- يعود الضمير هنا على "القضايا".

9- مفاهيم الجمالية والنقد : 192.

10- مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم : 27.

11- مصطلحات نقدية و بلاغية : 18.

12- مفاهيم الجمالية والنقد : 41-42.

13- نفسه : 53.

14- نفسه : 109.

جاء في تعريف "الدلالة" : "إن كلمة "دلالة" في الاصطلاح اللغوي العام هي مصدر فعل "دَلَّ" ، بمعنى "عَيَّنَ" ، و "أَشَارَ" (15) .

كما عرف "البداهة" لغة، بكلمة واحدة، فقال : "البداهة، لغة، هي : المفاجأة(16)". ثم انتقل مباشرة إلى التعريف الاصطلاحي، فقال : "وهي في الاصطلاح الأدبي، عند الجاحظ، تعني الطبيعة في صوغ الكلام وإلقائه(17)".

إن تقصير عاصي في جانب الدراسة المعجمية للمصطلح جعله يعتبر بعض الألفاظ اللغوية المحضة مصطلحات نقدية، ومنها - على سبيل المثال - الكلمات التالية : "البَهْرُ"(18)، و "وَحدة العَرَب"(19)، و "الأعراب"(20).

### 3.1.1.1. عدم إعطاء الدراسة النصية والدراسة المفهومية ما تستحقان من أهمية :

إن إغفال ما تتطلبه الدراسة النصية والدراسة المفهومية للمصطلح من شروط وقواعد جعل المؤلف يقع في ما يلي :

#### 1.3.1.1.1. عدم البث في اصطلاحية بعض الألفاظ أحيانا :

من شأن الدراسة النصية للمصطلح أن تحسم في أمر اصطلاحية اللفظة المدروسة، أو عدم اصطلاحيتها، إذ هي "دراسة المصطلح وما يتصل به في جميع النصوص التي أحصيت قبل، بهدف تعريفه واستخلاص كل ما يسهم في تجلية مفهومه، من صفات، وعلاقات، وضمائم، وغير ذلك(21)". غير أن

15- مفاهيم الجمالية والنقد : 41-42 .

16- نفسه : 109 .

17- نفسه : 109 .

18- نفسه : 54-55 .

19- نفسه : 178 .

20- نفسه : 181 .

21- نظرات في منهج الدراسة المصطلحية : 8 .

المؤلف لم يثبت في اصطلاحية بعض الألفاظ، أحياناً. ومن ذلك، مثلاً، ما ذكره أثناء حديثه عن "القران والاقتران"، حين قال: "في مجال الانسجام اللفظي والتآلف الموسيقي فيما بين الحروف والكلمات، لربما استعمل الجاحظ كلمة، يبدو أن لها عنده قوة المصطلح بدليل ما يتبعها به، وحدها دون غيرها، من شرح دقيق ومدلولها لم يتبعه أيّاً من الكلمات المرادفة، هذا اللفظ-المصطلح، هو الاقتران<sup>(22)</sup>".

إن عدم الحسم في اصطلاحية لفظ "الاقتران" واضح من خلال النص باستعمال عاصي لكلمات مثل: "لربما"، و"كلمة" و"يبدو"...

#### 2.3.1.1.1. استخراج دلالة المصطلح من غير نصوص الجاحظ :

إن المؤلف - في كثير من الأحيان - لم يكن يستنبط دلالة المصطلح من نص الجاحظ - موضوع الدراسة -، بل كان يتجاوزه إلى نصوص نقاد آخرين، معاصرين لأبي عثمان، أو جاءوا بعده. وسنعطي بعض الأمثلة، على ذلك، لتوضيح هذا الأمر :

قال حينما أراد تحديد المقصود بمصطلح "القطع" : " ونحن ذهاباً مع ابن رشيق وأبي هلال نستنتج هنا أن القطع في الشعر هو خاتمة البيت الأخير من القصيدة، أو من البيت المستقل. وليست جودة القطع، في هذه الحال، سوى بلاغة الختام معنى ومبنى<sup>(23)</sup>".

فهل نحن بصدد تحديد دلالات المصطلحات الواردة في كتب الجاحظ، أم تلك التي وردت في كتابات العسكري والقيرواني...؟

22- مفاهيم الجمالية والنقد : 140.

23- نفسه : 67.

وقد تكرر مثل هذا الأمر عدة مرات :

— قال حينما استغلق عليه تحديد المراد بمصطلح " الابتداء " : " وإن لم نقع على ما يتحدد به معنى الابتداء في كلام الجاحظ، فإننا في مقابل معنى القطع، نميل مع ابن رشيقي إلى أن الابتداء، في الشعر، يدل على البيت الأول من القصيدة، أو على الفقرة الأولى من البيت الأول، في حين أن الابتداء، في النثر هو الفقرة الأولى، أو الجملة الأولى التي يُفتتح بها الكلام المنثور<sup>(24)</sup> ".  
ويتضح عدم التدقيق، في هذا الكلام أيضا، من خلال استعمال حرف العطف: " أو " الذي يدل، من ضمن ما يدل عليه، على: الشك، والتخيير، والإضراب...<sup>(25)</sup>.

— وقال في دراسة مصطلحي " البراعة " و " الحدق " : " على أنه<sup>(26)</sup> كعادته، لا يرى حاجة إلى توضيح معنى الحدق، وتحديد سمات البراعة ومقوماتها. ولقد وقعنا عند قدامة بن جعفر على قول يكشف لنا بعض خصائص الأديب الحاذق التي يصفها بقوله: " فإن كان معه من القوة في الصناعة ما يبلغه إياه (الطرف الأجود) سمي حاذقا<sup>(27)</sup> ".

— وقال أثناء الحديث عن الشاعر المطبوع: " وإذا كان الجاحظ لا يحدد الشاعر المطبوع تحديدا دقيقا مانعا، فإن ابن قتيبة يقرر في مقدمة " الشعر والشعراء " مايلي: " والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي<sup>(28)</sup> " <sup>(29)</sup>.

24- مفاهيم الجمالية والنقد : 98.

25- انظر معاني هذا الحرف في كتاب: الجنى الداني في حروف المعاني : 227-231.

26- يعود الضمير هنا على: " الجاحظ " .

27- مفاهيم الجمالية والنقد : 110.

28- الشعر والشعراء : 96/1.

29- مفاهيم الجمالية والنقد : 129.

- وذكر، أثناء تعريف " القافية "، ما يلي : " لانقع عند الجاحظ على تحديد لها إلا قوله : " القوافي : خواتم أبيات الشعر<sup>(30)</sup> "، غير أن ابن رشيق يورد عن الخليل قوله : " القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن<sup>(31)</sup> " <sup>(32)</sup> .

### 3.3.1.1.1. عدم تحديد دلالات بعض المصطلحات تحديدا دقيقا :

إن دراسة المصطلحات دراسة مصطلحية تكون " بهدف تبين وبيان المفاهيم التي عبرت أو تعبر عنها تلك المصطلحات<sup>(33)</sup> "، وهذا أمر يقتضي وضع تعريف دقيق لكل مصطلح مدروس، لذا يتعين على الباحث - إن هو أراد تحقيق هذا الهدف - أن يلتزم بمجموعة من الشروط، يأتي في مقدمتها : "اجتناب الشرح بالغامض كالمترادف أو الضد، وإيثار اللفظ المألوف الدقيق غير الاصطلاحي ما أمكن<sup>(34)</sup> " .

فهل حقق عاصي ذلك ؟

لقد حاول تعريف مجموعة من المصطلحات الواردة في أدب الجاحظ، لكنه بقي - في كثير من الأحيان - في إطار الشرح بالغامض، فاقصر على التعريف بالمترادف أحيانا، أو على ذكر ما يقترن بالمصطلح، أحيانا أخرى، كما لم يدقق العبارة المعرّفة، أحيانا ثالثة. وسنمثل لكل ضرب من هذه الضروب الثلاثة على حدة :

30- البيان والتبيين : 179/1 .

31- العمدة : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد : 151/1 .

32- مفاهيم الجمالية والنقد : 159 .

33- نظرات في منهج الدراسة المصطلحية : 3 .

34- مصطلحات نقدية وبلاغية : 18 .

### 1.3.3.1.1.1. الاقتصار على التعريف بالمرادف :

كان عاصي يكتفي، في تعريف بعض المصطلحات، بذكر مصطلح آخر يرادف المصطلح المدروس ؛ بل إنه، في بعض الأحيان، يأتي بعدة مرادفات قد تصل إلى ستة، كما فعل في تعريف مصطلح "الحلاوة". قال : "والحلاوة ترادف الطلاوة، والرشاقة، والسهولة، والعدوية، كما ترادف الجزالة والفخامة<sup>(35)</sup>".

ماذا عسانا نفعل أمام هذا "التعريف" ؟ وهل يمكننا، من خلاله، أن نقف عند الدلالة الحقيقية للحلاوة ؟

إن الغموض يلف عبارات عاصي من عدة وجوه :

– أولها : أنه اكتفى بالتعريف بالمرادف .

– وثانيها : أنه جعل الطلاوة إلى جانب الرشاقة، والسهولة، والعدوية، والجزالة، والفخامة، مرادفة للطلاوة. فهل ترادف "الحلاوة"، فعلا، كل هذه المصطلحات ؟

إن الدراسة النصية المتأنية هي الكفيلة بإدراك الفروق الدقيقة الموجودة بين تلك المصطلحات كلها.

### 2.3.3.1.1.1. الاكتفاء بذكر ما يقترن بالمصطلح عوض تعريفه :

كان المؤلف يكتفي، مرات أخرى، بذكر ما يقترن بالمصطلح المدروس، في الوقت الذي كان يتحتم عليه أن يعرفه تعريفا دقيقا. من ذلك مثلا، ما ذكره أثناء دراسة مصطلح "التعريض"، حيث قال : "التعريض : مصطلح بياني، غالبا ما يقترنه الجاحظ بمصطلح معروف هو الكناية<sup>(36)</sup>".

35- مفاهيم الجمالية والنقد : 102 .

36- نفسه : 145 .

فهل فهم المراد بالتعريض من خلال هذا الكلام ؟

إن الدراسة المصطلحية لا تتميز بين مصطلح "معروف"، وآخر "غير معروف"، فكل واحد منهما ينبغي أن يدرس - على حدة - دراسة مصطلحية وافية، بغية تحديد معناه الدقيق، أو معانيه إن تعددت .

#### 4.3.1.1.1. عدم اطراد دراسة مشتقات المصطلح :

حاول عاصي، بعد تعريف المصطلح المدروس، أن يعرج على دراسة بعض مشتقاته . ومن شأن هذا العمل أن ينير الدراسة المصطلحية، ويعين على تبين المصطلح، من خلال الصيغ المختلفة التي يرد عليها، إذ المشتقات " تتضمن كل لفظ اصطلاحي ينتمي لغويا ومفهوميا إلى الجذر الذي ينتمي إليه المصطلح المدروس ؛ كالمجتهد مع الاجتهاد، والبلّغ مع البلاغة، ولا يدخل فيها المنتمي لغويا فقط ؛ كالإنفاق مع النفاق، ولا المنتمي مفهوميا فقط كالقصيدة مع الشعر، إذ محل هذا العلاقات<sup>(37)</sup> .

والملاحظ أن أمر دراسة المشتقات لم يكن مطردا، فلم نعثر عليه إلا في دراسة مصطلح " الرّجَز "، حيث قال عاصي : " ونقع في مصطلحات الجاحظ عن الرّجَز على المشتقات الآتية :

- أرَجَزَ : بمعنى أَلَف شعرا من بحر الرجز، كما أن اسم التفضيل هو أرَجَزُ، فيقال : فلان أرَجَزُ من فلان .

- رَاجَزَ وتَرَاجَزَ : بمعنى فاضل وتفاضل في قول الرجز .

- الراجز : وهو الشاعر في هذا النوع من النظم<sup>(38)</sup> .

37- نظرات في منهج الدراسة المصطلحية : 11 .

38- مفاهيم الجمالية والنقد : 121 .

ومما يلاحظ على دراسة هذه المشتقات التي أوردها عاصي أنها لم تخضع لأي ترتيب . والمعروف أن دراسة المشتقات، تخضع، بدورها، لترتيب محكم يراعي الصيغ الصرفية التي ترد عليها تلك المشتقات، فيتم البدء بما اشتق من ثلاثي المادة أولا ( اسم الفاعل : الراجز، وبعده : اسم التفضيل : أرَجَزَ ) ثم يُتبع ذلك بما اشتق من رباعيتها، ثانيا (الإرْجَاز ← أرْجَزَ ) و ( المراجزة ← راجَزَ ). ثم تختتم تلك المشتقات بما اشتق من خماسي المادة ( التَّرْجُز ← تراجَزَ ). وهكذا...

### 2.1.1. تجاوز الوصف إلى الموازنة بغير شروطها :

كان عاصي يتجاوز - في كثير من الأحيان - الوصف إلى عقد موازنات بين ما ذكره الجاحظ وبين ما ورد عند من جاء بعده من النقاد . ألا ما أجمل هذا! ما أجمل أن يخرج الإنسان بصورة واضحة المعالم تقفه على دلالة المصطلح المدروس عند الناقد المدروس، ثم تتبع نفس المصطلح عند نقاد آخرين، من أجل التعرف على التطور الدلالي أو الاستعمالي الذي عرفه ذلك المصطلح ! أو من أجل الخروج بخلاصات علمية تقتضيها الدراسة الرصينة .

ما أجمل ذلك، حقا، إذا تم بشروطه العلمية ! أما أن تنطلق الموازنة من خلال نصوص كثر تداولها بين الدارسين، ولم تخضع لعملية الإحصاء الدقيق فذاك مما ينبغي تجنبه بالنسبة للباحث . ولله در من لاحظ على عاصي، أنه - في هذه النقطة - قد " أقحم نفسه في مقارنات لما يأت أوانها"<sup>(39)</sup> .

ويمكننا التمثيل لذلك بما يلي :

- ما أورده عاصي، أثناء حديثه عن الإشارة عند الجاحظ، حين قال : " وقد كان لمفهوم الإشارة من هذه الوجهة البلاغية حظ من اهتمام بعض كبار

39- مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم : 27 .

الباحثين كأبي هلال العسكري الذي أفرد لها في كتاب الصناعتين فصلا خاصا بها، حيث عرفها بقوله: "الإشارة أن يكون اللفظ القليل مشارا به إلى معان كثيرة، بإيماء إليها، ولحمة تدل عليها"<sup>(40)</sup>. كذلك أفرد لها قدامة بن جعفر ركننا خاصا في باب أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى، وعرفها بمثل التعريف الذي أثبتناه لأبي هلال سابقا<sup>(41)</sup>.

- وما أورده، حين كان بصدد الحديث عن مفهوم الفصاحة، عند الجاحظ، حيث قال: "درج جميع من بحثوا في البلاغة العربية من بعد، ممعنين في تفصيل هذا المفهوم وتنظيمه وتبويبه، وبخاصة أبو هلال العسكري في الصناعتين، إذ يقول: "الفصاحة تمام آلة البيان، فهي مقصورة على اللفظ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى، والبلاغة إنما في إنهاء المعنى إلى القلب، فكأنها مقصورة على المعنى"<sup>(42)</sup> "<sup>(43)</sup>".

- وقد خرج المؤلف، أيضا، إلى مثل هذه الموازنات عندما عرض لتعريف المصطلحات الآتية: "العُقلة"<sup>(44)</sup>، و"القُبْح"<sup>(45)</sup> و"القصيد والرجز"<sup>(46)</sup> و"البداهة"<sup>(47)</sup>، فوازن بين تعاريف الجاحظ لها، وبين تعاريف كل من العسكري وقدامة وابن رشيق.

40- الصناعتين : 348 .

41- مفاهيم الجمالية والنقد : 46 .

42- الصناعتين : 7-8 .

43- مفاهيم الجمالية والنقد : 50 .

44- نفسه : 66-67 .

45- نفسه : 108 .

46- نفسه : 120 .

47- نفسه : 109-110 .

### 1.2.1.1. عدم تقييد عاصي بما ورد عند الجاحظ من تعاريف :

يتضح مما سبق أن المؤلف لم يكن يتقيد بما ورد عند الجاحظ من تعاريف، وبذلك لم ينسجم مع عنوان كتابه " مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ "، بل كان يضيف إليها التعاريف التي استقرت عند نقاد آخرين. ولعل فيما أوضحناه بعض الرد على الدكتور إدريس نقوري الذي أخذ على عاصي - من ضمن ما أخذه عليه - " أنه كثيرا ما يكتفي بتتبع مفهوم اللفظ الاصطلاحي عند الجاحظ، ولا يتجاوزه إلى غيره من النقاد السابقين واللاحقين<sup>(48)</sup> ".

### 2.2.1.1. أسباب استنجاد عاصي بتعاريف غير الجاحظ :

ولعل الأسباب التي حدث بعاصي إلى الاستنجاد بتعاريف النقاد الذين عاصروا الجاحظ، أو جاءوا بعده، هي :

#### 1.2.2.1.1. عدم شرح الجاحظ لكثير من المصطلحات في كتاباته :

يقول عاصي، في هذا الصدد، : " إن مدلول المصطلحات التي راجت في قلمه قد كان من الوضوح والشيوع، في زمانه، بحيث لم يستشعر حاجة تدفعه إلى الشرح والتفصيل<sup>(49)</sup> ". وهو ما أعاده المؤلف من جديد، في موضع آخر من الكتاب، حين قال : " لكن رغم احتفال الجاحظ بجودة الابتداء والقطع، وبرغم ترحيبه واستحسانه لبراءة بعض الناثرين والشعراء في استخدامها، فإنه لم يهتم قط بتوضيح مدلولها، ولو بالإشارة إلى شيء من ذلك<sup>(50)</sup> ". وأكد هذا الأمر مرة ثالثة، عندما تحدث عن المصطلحات العروضية فقال : " إن ما ذكره الجاحظ في باب الصناعة العروضية يبدو وكأنه مصطلحات عامة لا تحتاج إلى

48- المصطلح النقدي في " نقد الشعر " : 12 .

49- مفاهيم الجمالية والنقد : 83 .

50- نفسه : 96 .

شرح أو تعريف ؛ لذا جاءت إشارات في صناعة النظم والقريض موجزة حاسمة،  
كأنما القارئ ملّم بها تماما، ومُزوّد سلفا بما يغنيه عن كل تعليق<sup>(51)</sup> .

### 2.2.2.1.1. كون النصوص التي اعتمدها عاصي لا تفصح عن الدلالة الحقيقية للمصطلح المدروس :

ولذلك وجدنا المؤلف يصرح، غير ما مرة، بأن " استقراء النصوص لا  
يمكن الباحث، في أية حال من الأحوال من معرفة فحوى<sup>(52)</sup> " بعض المصطلحات،  
كالجودة والبراعة، مثلا .

### 3.1.1. عدم اتباع منهج واضح في الترتيب والتبويب :

يفترض في أي بحث علمي أن يسير من أوله إلى آخره - وفق منهج  
مضبوط ومحدد، غير أن صاحبنا لم يتبع منهجا واضح المعالم في ترتيب  
مباحث دراسته وتبويبها . وقد صرح، بهذا الأمر، في مبحث بعنوان : " مفاهيم  
متفرقة " ، فقال : " وها نحن نحاول تفصيلها كما طالعنا على التوالي في  
آثاره، دون اعتماد أية منهجية في الترتيب والتبويب سوى مصادفة ورودها  
تباعا في سياق البحث عن مفاهيم الجمالية والنقد الأدبي، وهي الغرض الأول  
لهذه الدراسة<sup>(53)</sup> .

### 4.1.1. عدم التمييز بين الدراسة المصطلحية وبين دراسة القضايا النقدية :

يتضح من خلال كتاب عاصي أنه مخصص لدراسة مجموعة من المفاهيم  
الخاصة بالجمالية والنقد في أدب الجاحظ، إلا أن المتأمل فيه يجد أن المؤلف لم  
يميز بين الدراسة المصطلحية وبين دراسة القضايا النقدية فالكتاب قائم، أساسا،

51- مفاهيم الجمالية والنقد : 158 .

52- نفسه : 96 .

53- نفسه : 172 .

على دراسة مفاهيم بعينها، غير أننا، في أحيان أخرى، نجد صاحبنا يتجاوز ذلك إلى دراسة بعض القضايا النقدية، كقضية السرقات الشعرية<sup>(54)</sup>، وقضية المعنى واللفظ<sup>(55)</sup>...

فعوض أن يدرس عاصي كل لفظة من هذه الألفاظ، على حدة، دراسة مصطلحية، في صيغتها المفردة أولاً، ثم في صيغتها المركبة تركيباً وصفياً: "السرقات الشعرية"، أو تركيباً عطفياً: "المعنى واللفظ"، ثانياً، إذا به يعالج هذين المركبين من زاوية القضايا، فيقول، بصدد القضية الثانية، مثلاً: "من هنا لم تحظ عنده قضية هامة كقضية اللفظ والمعنى بما ينبغي لها من عمق وشمول، ومن وحدة في الحكم والرأي<sup>(56)</sup>".

وهكذا استرسل عاصي في دراسة قضية اللفظ والمعنى على مدى ست صفحات، ثم ختم الحديث عنها بقوله: "ولعل أوضح ما نخرج به من آراء تحدد موقف الجاحظ من قضية المعنى واللفظ، ذلك القول الذي يضعه في موقع الذين يُؤلّفون جمالية الشكل القيمة الأساسية<sup>(57)</sup>".

ويزكي ما ذهبنا إليه ما عبر عنه عاصي، في آخر صفحة من كتابه، حين تسأل: "وبعد، فهل وفقنا في هذه الدراسة إلى أن نحقق هدفنا منها، وهو استخلاص مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ؟<sup>(58)</sup>"

إن الغاية، إذن، كانت هي إبراز دلالات مجموعة من المصطلحات المرتبطة بمجال الجمالية والنقد، لكن جواب المؤلف عن سؤاله السابق، جاء فيه: "قد

54- مفاهيم الجمالية والنقد : 132-135 .

55- نفسه : 166-171 .

56- نفسه : 166 .

57- نفسه : 171 .

58- نفسه : 192 .

نستطيع، بغير ادعاء، الجزم بأننا لم نوفر أي جهد في تتبع مختلف ما ورد مباشرة أو بالإيحاء من آراء الجاحظ والذين روى لهم أو عنهم من أهل النظر والتدقيق في قضايا الجمالية والفكر الأدبي والنقد<sup>(59)</sup> .

وهكذا يتضح الخلط الحاصل لدى عاصي بين تناول الألفاظ باعتبارها مصطلحات، وبين تناولها باعتبارها عناوين قضايا، أيضا. يقول الدكتور الشاهد البوشيخي، في هذا الصدد: "إن دراسة المصطلحات ينبغي أن تكون، أولا وقبل كل شيء، دراسة مصطلحية تهدف، أول ما تهدف، إلى تكوين "بطاقة هوية" مفصلة للمصطلح. وما لم يُدرك الفرق بين دراسة مصطلحي اللفظ والمعنى، مثلا، وقضية اللفظ والمعنى، فإن المنهج لن يستقيم"<sup>(60)</sup> .

## 2.1. نظرات منهجية عامة مرتبطة بمجال البحث العلمي وقواعده الأساسية:

هناك مجموعة من القواعد العامة التي ينبغي للباحث أن يتقيد بها في كتابة أبحاثه. وهي قواعد حددها العلماء، ونصت عليها كثير من الكتب التي عنيت بضبط منهجية البحث العلمي، إلا أن قارئ كتاب عاصي يجد فيه أنه خرج عن بعض الأمور التي هي من باب المسلمات. ومن ذلك، مثلا:

### 1.2.1. إطلاق أحكام عامة:

إن البحث العلمي الرصين يستوجب التريث في إبداء الآراء، وذلك بهدف تجنب إصدار بعض الأحكام المطلقة والمتسرعة، غير أن صاحبنا كان يزيغ قلمه، أحيانا، ليسطر أحكاما عامة، مثل ما ورد في حديثه عن القصيد والرجز: "وفي تقديم القصيد على الرجز يتفق الجاحظ مع جميع النقاد والبلاغيين

59- مفاهيم الجمالية والنقد : 192 .

60- مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم : 27 .

العرب الذين جاءوا بعده. ففي كتاب نقد النثر المنسوب إلى قدامة بن جعفر تمييز واضح بين القصيد والرجز، وتفضيل قاطع للنوع الأول على الثاني<sup>(61)</sup>.

فهل اطلع عاصي على المكتبة النقدية والبلاغية العربية كلها؟ أم أنه وجد في الكلام المنسوب إلى قدامة ما يكفي ليجعله مُعَمَّمًا على كل النقاد والبلاغيين العرب الذين جاءوا بعد الجاحظ!؟

إن الميل إلى التعميم دفع المؤلف، مرة أخرى، - وهو يتحدث عن السرقات - إلى القول: "شغل موضوع السرقات الشعرية جميع المهتمين بالنقد والبلاغة العربية حتى لم يبق منهم باحث إلا تعرض له بتفصيل مبينا للحالات المختلفة التي يجوز فيها الأخذ من شعر السابقين<sup>(62)</sup>". ويكفي لدحض هذا التعميم أن نذكر أن قدامة في "نقد الشعر"، وابن سنان الخفاجي في "سر الفصاحة"، وأبا يعقوب السكاكي في "مفتاح العلوم" وغيرهم... لم يتطرقوا للسرقات.

### 2.2.1. عدم ضبط بعض النصوص المستشهد بها :

لا تخفى أهمية ضبط النصوص في مجال البحث العلمي. وإن أي تصرف فيها، بالزيادة أو الحذف، أو تغيير بعض الكلمات، لمن شأنه أن يشكك في أمانة ناقل تلك النصوص، خاصة إذا وضعها بين مزدوجتين، وأحال على المصادر التي نقل عنها. فقد يؤثر ذلك على مبنى النص، كما قد يؤثر على معناه.

إن المؤلف لم يضبط بعض النصوص، حينما كان بصدد الحديث عن الشاعر المفلق. قال في المرة الأولى: "الشاعر المُفْلِقُ هو الذي لا رواية له، إلا أنه مُجَدِّد في شعره<sup>(63)</sup>". وقال في المرة الثانية: "وشاعر مفلق وهو الذي

61- مفاهيم الجمالية والنقد : 120 .

62- نفسه : 132 .

63- نفسه : 130 .

لا رواية له، إلا أنه مجدد في شعره كالحنذيد في شعره<sup>(64)</sup>. وأحال على "العمدة"<sup>(65)</sup>.

ونحن إذا عدنا إلى كتاب ابن رشيقي نجد أن النص قد ورد بالصيغة التالية: "وشاعر مُفلق، وهو الذي لا رواية له إلا أنه مُجَوِّدٌ كالحنذيد في شعره<sup>(66)</sup>". فمن هنا يتضح التغيير الذي لحق النص، في المرة الأولى بالحذف والتبديل، وفي المرة الثانية بالزيادة والتبديل. فقد بدلت كلمة "مجود" بـ "مجدد"، وبينهما فرق كبير!

### 3.2.1. نقص في توثيق بعض النصوص والمعلومات وانعدامه أحيانا :

إن عملية التوثيق قد شابها بعض النقص؛ بحيث كنا نجد أنفسنا، أمام بعض النصوص أو المعلومات، في حاجة ماسة إلى معرفة أصحابها، وكذا أماكن ورودها. ويمكن أن نمثل لذلك النقص من خلال الحالات التالية :

- كان عاصي، في بعض الأحيان، يحدد دلالة مصطلح ما، انطلاقاً من نص معين، من غير أن نعرف لمن ذلك النص، ولا أين ورد. ومن الأمثلة على ذلك ما نجده أثناء تحديد مفهوم "المتكلم". فقد أورد عاصي نصاً يعرفه بأنه "صاحب المذهب الكلامي المعروف في الفقه والفلسفة العربية الإسلامية<sup>(67)</sup>". لكن من غير إحالة!

- وقال، وهو يتحدث عن السرقات الشعرية: "إن معظم الدارسين الجمالين بعده (الجاحظ) قد تفننوا في إيجاد المصطلحات لكل حالة من حالات

64- مفاهيم الجمالية والنقد : 131 .

65- العمدة : 114/1 .

66- نفسه : 115-114/1 .

67- مفاهيم الجمالية والنقد : 188 .

النقل، ولكل درجة من درجات الاقتباس، فقالوا : الاتِّباع، وقالوا : السَّلخ، وجاءوا بغير ذلك من الأسماء<sup>(68)</sup> . فلم يسم أي واحد من أولئك الدارسين، كما لم يذكر المصادر التي وردت فيها تلك المصطلحات .

— بعض التعاريف اللغوية<sup>(69)</sup>، وبعض التعاريف الخاصة بالأعلام<sup>(70)</sup> غير موثقة بالهامش .

#### 4.2.1. عدم ضبط الإحالات وعدم توحيدها :

من المعلوم أن المؤلف قد اعتمد في كتابه على مجموعة من المصادر والمراجع، تتوزع ما بين كتب نقدية وبلاغية وأدبية ولغوية وغير ذلك، إلا أنه لم يتبع خطة مضبوطة وموحدة في كتابه، من أوله إلى آخره، أثناء ذكر الإحالات . ومن ثم فقد اتخذت عنده عدة أشكال، نجملها في الصور التالية :

— يذكر، أحيانا، معظم المعلومات المتعلقة بالكتاب المحال عليه، كالمؤلف والمؤلف والمحقق والطبعة والصفحة<sup>(71)</sup> .

— ويذكر، أحيانا أخرى، اسم المؤلف، ويتبعه باسم المؤلف، ثم أرقام الأجزاء والصفحات<sup>(72)</sup> .

— ويذكر، في أحيان كثيرة، اسم المؤلف مع الجزء والصفحة، بدون ذكر اسم المؤلف . وهذا هو المطرد، غالبا .

68- مفاهيم الجمالية والنقد : 134 .

69- مثال ذلك ما ورد في ص . 30، الهامش 1 و 2، وفي ص . 31، الهامش : 2 .

70- مثال ذلك ما جاء في ص . 73، الهامش : 2 و 4 . فقد عرف عاصي بزياد الأعجم وسحيم عبد بني الحسحاس، لكن من غير إحالات .

71- كما هو الشأن مثلا في ص . 10، الهامش : 1، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط . 1، ص : 5 .

72- كما فعل في ص . 11، الهامش : 1 و 2 : ابن بسلام : الذخيرة : ج . 1، ص . 198 . وكذلك في ص . 96، الهامش : 3 : ابن رشيقي : العمدة : ج . 1، ص . 216 .

- ويذكر، أحيانا أخرى، اسم المؤلف مع بعض المعلومات عنه، مع إغفال اسم المؤلف<sup>(73)</sup>.

- ويكتفي، أحيانا، بذكر اسم المؤلف في المتن، ويشير في الهامش إلى الجزء والصفحة<sup>(74)</sup>.

- ويذكر اسم الكتاب كاملا مرة، وناقصا مرة أخرى<sup>(75)</sup>.

- لم يوحد العبارة التي تشير إلى كتاب سبق ذكره، فكان يقول، أحيانا، "المرجع المذكور سابقا"<sup>(76)</sup> وهي عبارة تخالف ما اطرده في إحالاته: "المرجع نفسه".

### خاتمة :

هذه، إذن، بعض النظرات المنهجية التي عنت لنا من خلال قراءة كتاب د. ميشال عاصي " مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ " وهي نظرات حاولت أن تبرز أن الدراسة المصطلحية منهج متكامل الحلقات، وأن أي خلل في جانب منه، سيؤثر - لا محالة - سلبا على الدراسة. ومن ثم وجب على الدارس المصطلحي ألا يُفَرِّطَ في أي ركن من أركان الدراسة المصطلحية حتى يمكنه الوصول إلى نتائج يمكن أن يُطمأن إليها، بعد ذلك.

73- كالذي نجده في ص . 23، الهامش : 1 : نقد الشعر : تحقيق عيسى ميخائيل سابا، ص 115 .

74- كما فعل في ص . 14 . فقد ذكر موسوعة " لاروس " في المتن، ثم أحال على الجزء 4، وص . 715، في الهامش .

75- كما فعل في ص . 101، الهامش : 1 . وفي ص . 102، الهامش : 1 : رسالة التريبيع والتدوير، بينما اكتفى في ص . 98، الهامش : 3، بالقول : التريبيع والتدوير .

76- مفاهيم الجمالية والنقد : 87، الهامش : 2.

## لائحة المصادر والمراجع

- 1- البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ. المجلد الأول، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط. 4، دار الفكر، بيروت.
- 2- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة و ذ. محمد نديم فاضل، ط. 2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ-1983م.
- 3- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط. 3، 1977 م.
- 4- الصناعتين : كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1406هـ - 1986م.
- 5- العمدة : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ابن رشيق القيرواني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، (بدون تاريخ).
- 6- مشكلة المنهج في دراسة مصطلح النقد العربي القديم، د. الشاهد البوشيخي: بحث ضمن أعمال ندوة : المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم. مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس، عدد خاص، رقم : 4، السنة 1409هـ - 1988م. من ص. 20 إلى ص. 31.
- 7- مصطلحات نقدية وبلاغية : مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، د. الشاهد البوشيخي، ط. 1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م.
- 8- المصطلح النقدي في "نقد الشعر" - دراسة لغوية تاريخية نقدية، د. إدريس نقوري، ط. 1، دار النشر المغربية - الدار البيضاء، المغرب، 1982م.

9- مفاهيم الجمالية والنقد : مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، د. ميشال عاصي، ط . 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1974م.

10- نظرات في منهج الدراسة المصطلحية : نظرات في منهج الدراسة المصطلحية ومدى اهتمام إمام الحرمين به في كتابه " الكافية " ، د. الشاهد البوشيخي، مرقون، بحث قدم بندوق " الذكرى الألفية لإمام الحرمين الجويني " بكلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، أيام 6-8/4/1999م.